علم الاجتماع الجنائى .

— ٧ —

اين السعادة ؟

نقول : والرأي عند أصحاب المذاهب القضائية أن الاصل في التشريع البحث في أسباب ايجاد السعادة بقدر ما يمكن للاغلبية — وفي السعي للحصول على كل مامن شأنه انماء هذه السعادة الى ما يمكن أن تكون —

يقول بنتام — : انما تغري الاخلاق الانسان وتحدوه ليبحث عن الماهية الكلية لسعادته — وما فيها طبيعته .

أما السياسة — فانها تحدو المشرع لان يبحث عن أهم وأعظم سعادة لاكبر عدد من الناس —

"The greatest Benifits for the greatest number

على حين أن هذا المذهب متغير متبدل يخضع كغيره لناموس التحول — والانتقال ، ذلك بان المنفعة ذاتها في تغير دائم وتبدل مستمر — لاتلبث على حالة واحدة في زمن من الازمان أو في عصر من العصور ، وهي عند الافراد والجماعات نسبية صرفة ، تقع عند فرد أو ملأ من الخلق على خلاف ما تقع عند انسان آخر أو جماعة أخرى

انظر الى ما يقوله استيوارت ميل (ولد في لندن سنة ١٨٠٦ وقضى بافينون سنة ١٨٣٣ . فيلسوف من أشهر وأكبر فلاسفة انجلترا ، وعالم من مشهوري علماء علم الاقتصاد — وقد من أفذاذ هذا العلم الذين برزوا في ميدانه ، ونفعوا الناس بمتع مصنفاتهم ، ونافع فكرهم) انظر الى آراء هذا العلامة الكبير تر أنه يخلط خلطاً بين الفائدة والفضيلة — وهو مع ذلك يدلل ويبرهن على أنه أصاب محجة الصواب ، وكبد الحقيقة ، فلا هو حاد عن الطريق السوي ، ولا هو مال عن اتباع الحق . يقول — استيوارت ميل — ان الفضيلة جزء متجزيء من السعادة ، بل ويقول أكثر من ذلك أنها قد تصبح الفضيلة هي السعادة نفسها فلا تفرقها منها .

والحق : ان الفضيلة سبيل الى السعادة وليست هي السعادة بعينها على انه قد يكون ان تحول الرغبة السبيل والوسيلة فتصبح غاية او نتيجة غائية — وقد يتمادى الفكر في هذه السبيل فتصبح الفضيلة غاية في نفسها — اي انها تصبح سعادة في نفسها ، آية ذلك أن الانسان يعلم علم اليقين ان الدراهم والدنانير ان هي الا وسيلة لاشباع اللذات ، وادخال السعادة الحسية على النفس — ولكن هذه العقيدة على تغلغلها في ادمغة الناس ورسوخها في افهامهم ، لا تمنعهم ، ولا تحول بينهم وبين حب المال الحب الجم — الى حد انهم يحصرون فيه السعادة فتصير غاية غائية — ونهاية نهائية — ويكون كأنه هو النتيجة والغاية المقصودة لا السبيل الموصلة ، المؤدية للغاية .

يقول العلامة « فان هملن » انه ليس ثمت معابة في مذهب النفع والفائدة ، الا انه بحاجة الى دعامات متينة قوية — لان مذهبه انما يقوم على معرفة علمية حقيقية بعد درس الانسان بما فيه من ظاهرات — طبائع ، ونفس ، ثم الاستئناس بطريقة اجتماعية قائمة على اساس من الاحصاء ، ودعامات من التحقيق .

على حين ان « بنتام » يقنع من ذلك بقمع شهوة الاكثرية ، وارضاء الاغلبية ، ومتى واين كانت الاغلبية على ثبات ، او كان رأيها على حق ؟ ثم الا ان الاغلبية لسريعة التغير ، وان ارادتها غير ثابتة بل هي متقلبة متغيرة ، وان الفائدة في حد ذاتها — سريعة التغير — وانت تقرأ في صفحات التاريخ — وهو اللسان الناطق لمن عرف كيف يستنطقه — تقرأ الحادثة في عصر من العصور ، او دهر من الدهور ، وبين ملأ من الخلق — فترى انها نسبية صرفة — اي انها تكيفت بما يحوطها من الظروف والحالات . فكل شيء نسبي في هذا الوجود ، وكل شيء تابع لحالته التي تكيفه وتجعل منه صورة نسبية صحيحة — ولقد صدق ارسطو في ذلك حيث يقول:

« ليس في العالم شيء هو خير بذاته ، ولا شيء هو شر بذاته ، بل بالوضع ، وقد ينقلب الخير شراً ، والشر خيراً فلا تكون هنالك حقيقة »

مصر — حسن حسين